



كلية التربية للعلوم الإنسانية
College of Education for Human Sciences

ISSN: 1817-6798 (Print)

Journal of Tikrit University for Humanities

available online at: <http://www.jtuh.tu.edu.iq>

JTUH
مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية
Journal of Tikrit University for Humanities

Mechanisms of Investing the Human Spirit in Islamic Thought

A B S T R A C T

**Assai Prof. Dr.
Jumah Abdullah**

University of Kirkuk / College of
Education for Human Sciences

**Prof . Dr. Khamis Gharbi
Hussain**

Tikrit University College of Arts

* Corresponding author: E-mail: اميل الباحث

Keywords:

investment
spirit
humanity
thought
Islamic

ARTICLE INFO

Article history:

Received 1 Mar. 2020

Accepted 9 Nov 2020

Available online 2 Mar 2021

E-mail

journal.of.tikrit.university.of.humanities@tu.edu.iq

E-mail : adxxxx@tu.edu.iq

It is known that the display of human values in Islamic thought, and the method by which it is possible to build a person's personality and develop his capabilities, is of great importance at the present time, and it is an urgent need for the Islamic community at the present time where the answers with which we respond to the slanders of the enemies of Islam who have always remained. They try to distort this religion, despite its spiritual and moral dimensions and human starting points.

The intellectual stagnation and rigidity that afflicted the Islamic world, whether in the field of renewing the understanding of the text according to the data and requirements of the age and the development of life, and what it requires in addition, or a new understanding due, in our opinion, to the intellectual paralysis that afflicted the Islamic mind spanning nearly a thousand years. Thought about work, giving and production, and was captured by repetition and rumination of the same articles that did not budge from their place. Since the needs of the people varied and varied from one era to another, it was necessary to keep pace with these emerging needs at all times in order to respond, agree and harmonize between words and deeds.

© 2021 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: <http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.28.2021.24>

آليات استثمار الروح الإنسانية في الفكر الإسلامي

أ.م.د. جمعة عبدالله ياسين جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الإنسانية

أ.د. خميس غربي حسين جامعة تكريت / كلية الآداب

الخلاصة:

من المعلوم أن إظهار القيم الإنسانية في الفكر الإسلامي ، ثم الكيفية التي يمكن من خلالها بناء شخصية الإنسان وتطوير قدراته ذات أهمية بالغة في الوقت الحاضر ، وهو حاجة ملحة للمجتمع الإسلامي في الوقت الحاضر حيث يمكن تلمس الأجوبة التي نرد بها على افتراءات أعداء الإسلام الذين ما انفكوا يحاولون تشويه هذا الدين على الرغم ما فيه أبعاد روحية وأخلاقية ومنطلقات إنسانية . إن الجمود والتحجر الفكري الذي أصاب العالم الإسلامي ، سواء في مجال تجديد فهم النص وفق

معطيات ومتطلبات العصر وتطور الحياة , وما تتطلبه من إضافة , أو فهم جديد يعود , سببه برأينا إلى الشلل الفكري الذي أصاب العقل الإسلامي الممتد ما يقارب من ألف سنة , تعطل فيها الفكر عن العمل والعتاء والإنتاج , ووقع أسير التكرار والاجترار لنفس المقالات التي لم تتزحزح عن مكانها . ولما كانت حاجات الناس تتنوع وتتفاوت من عصر إلى آخر , كان لا بد من مواكبة تلك الحاجات المستجدة في كل زمان بغية الاستجابة والتوافق والانسجام بين القول والفعل .

المقدمة :

تقوم فكرة استثمار القيم الإنسانية في الفكر الإسلامي على التأكيد أنها تشكل منعطفا في تاريخ البشرية , لذلك كانت الدعوة إلى مراجعة المنظومة الفكرية والتراثية ذات أبعاد مهمة وحيوية ؛ إنها ضرورة ملحة لاستثمار الروح الإنسانية في هذا الدين وتوظيفها في ميدانها الخاص , ومن ثم اختيار الآليات التي يمكن من خلالها بناء شخصية الإنسان وتطوير قدراته , وهو أمر ذات أهمية بالغة في الوقت الحاضر , وهو يتشكل في حاجة المجتمع الإسلامي إليه حيث يمكن تلمس الأجوبة التي نرد بها على افتراءات أعداء الإسلام الذين ما انفكوا يحاولون تشويه هذا الدين على الرغم ما فيه أبعاد روحية وأخلاقية ومنطلقات إنسانية . واستثمار الروح الإنسانية تعطي مناعة كافية ضد الغزو الفكري والتيارات المستوردة والمبادئ البراقة والدعوات الهادمة , والتي يتستر أصحابها وراء دعايات كاذبة وشعارات خادعة , ويبدلون جهدهم لإخفاء الجوانب الإنسانية في الدين الإسلامي وإصاق تهمة الغلو والتطرف والإرهاب والقتل والتشريد .

ومما يجب الإشارة إليه أنه لا يوجد دينٌ أو شريعة أو قانون منذ نشأت الخليقة ؛ أكثر اهتمام لمصالح الناس وحرصاً على كمالهم من دين الإسلام , والشاهد على ذلك قوله تعالى : ((ما يريدُ اللهُ ليجعل عليكم من حرجٍ ولكن يريدُ ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون))^(١) .

ثمة جدلٌ انتشر مؤخراً بقوة حول جدوى دراسة الروح الإنسانية في الفكر الإسلامي , وتنادي بعض الأصوات بضرورة الفصل بين الدين والحياة , وعلى كافة المستويات , ويستمد هذا الجدل شرعيته من الفجوة التي تنتسح ما بين فتاوى بعض الفقهاء , وما بين واقع المجتمعات الإسلامية , وأن الفقه المنتج في السنوات الأخيرة ينطلق من المثال وقاصر على فهم متطلبات الحياة المعاصرة .

ولعل هذا الجدل وغياب التأثير الواقعي للجوانب الإنساني في الفكر الإسلامي على جوانب الحياة في المجتمعات الإسلامية , مع التأكيد أن الفكر الإسلامي بمعطياته الإنسانية يمكن أن يساعد في وضع

المناهج الممكن الالتزام بها للتعامل مع مستجدات العصر من قضايا ومشكلات ، فالمطلوب إذن التأسيس على أن الفكر الإسلامي واقعي في الطرح لا مثالي ، جاء كي يدرس كل الظواهر الواقعية .

إن الجمود والتحجر الفكري الذي أصاب العالم الإسلامي ، سواء في مجال تجديد فهم النص وفق معطيات ومتطلبات العصر وتطور الحياة ، وما تتطلبه من إضافة ، أو فهم جديد يعود سببه برأينا إلى الشلل الفكري الذي أصاب العقل الإسلامي الممتد ما يقارب ألف سنة ، تعطل فيها الفكر عن العمل والعطاء والإنتاج ، ووقع أسير التكرار والاجترار لنفس المقالات التي لم تتزحزح عن مكانها .

ولما كانت حاجات الناس متعددة وتتفاوت من عصر إلى آخر ، كان لا بد من مواكبة تلك الحاجات والأغراض المستجدة في كل زمان بغية الاستجابة التوافق والانسجام بين القول والفعل ، لذلك فإن آليات دراسة الجوانب الإنسانية والتي تخص بناء الإنسان وتطوير قدراته ذات أهمية ، لأن ما تعاني منه البشرية اليوم هو ضياع وفقدان القيم والمبادئ الإنسانية .

وفي خضم هذا الذي نعاني منه تبقى الروح الإنسانية في الدين الإسلامي بكل ماتحمله من معاني سامية ومتجددة هي طوق النجاة للبشرية ، لأن القيم الإنسانية في الإسلام كانت وستظل تشكل مكانة محورية ، بل أنها هماً وجودياً في النصوص الدينية الإسلامية وهي وإن كانت مطروقة سابقاً إلا أنها لم تكن بمثل ما جاء به هذا الدين الحنيف ، وقد تنوعت هذه القيم من خلال أساليب عدة ، ومناهج مختلفة ، كان أهمها هو التجربة الدينية والإيمان الذي يقود الإنسان إلى الطمأنينة ، والسعادة النفسية والذاتية .

ومع تصريح كثير من الفقهاء المتقدمين والمعاصرين في كل وضوح ، أن صورة الإنسان كما يستهدفها الوحي الإلهي ويمارسها الهدى النبوي ، لا تفارق مكانة التكريم والتزكية ، وفي الجوانب المختلفة من حياة الإنسان ، الروحية والمادية ، حتى إننا نرى التزكية قيمة حاکمة عليا لا تنفك عن قيمة التوحيد ، وقيمة بناء شخصية الإنسان وتعمير الأرض .

ومن نافلة القول أن بناء شخصية الإنسان وتطوير قدراته ذات مدلولات مهمة ، والإسلام يتهم بأدمية الإنسان واحترامه ؛ اللذين استمدا أصلاً من الشريعة الغراء ، فلم يعرف احترام لأدمية الإنسان كاحترام الإسلام لها ، بل أن الإسلام جاء كي يجعل منها عناوين لحياة البشرية بكل صورها ، وهي تعد المنطلق الجوهري في الإسلام ، لأن في نصوصه دعوات لرفع شأن الإنسان فوق جميع المخلوقات وجعله سيداً لها ، قال تعالى : ((ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلاً))^(٢) .

إن العقيدة الإسلامية في تحديدها لحقيقة الوجود والإنسان والكون هي الفكرة التي صنعت الحضارة الإسلامية , والإنسانية في العقيدة الإسلامية لها غاية سامية هي رفع شأن الإنسان , إلى درجة جعله حالة مقدسة يهون تهديم أعظم مقدسات الإسلام (الكعبة الشريفة) دون أن يقتل إنسان بريء .

وعلى هذا النهج وتوكيداً لقيمة الإنسان الذي جعله الله مكرم في العقيدة الإسلامية جاء هذا البحث لاستثمار الروح الإنسانية في الفكر الإسلامي والورقة إلى حد ما فيها محاولة للرد على الذين يروجون بأن الإسلام دين العنف والتطرف والإرهاب , وأنه يهمل حقوق الإنسان , لكن اظهر الوجه المشرق للعقيدة من خلال تبيان الجوانب الإنسانية يمكن أن يدحض الكثير من هذه الافتراءات التي يحاول دعايتها تشويه عدالة وسماحة هذا الدين , دين الإنسانية والمحبة والتسامح والعدل والوسطية , أما مفردة الاستثمار الذي أشرنا إليه في عنوان البحث , فإن المقصود به هو التأكيد أن الإسلام بقيمه الإنسانية وتعاليمه ونظرته لحقوق الإنسان , يمكن أن يكون المنقذ للبشرية في هذا العصر الذي سادت به الفلسفات المادية والنفعية , وكثرة فيه الصراعات الحروب , فضلاً عن ظهور الفرق المتطرفة الإرهابية التي اتخذت من النصوص الدينية الإسلامية مصدراً لأطروحاته ومنطقاتها الفكرية , بغية تبرير أعمالها الإجرامية التي لا يقرها الإسلام .

لقد شكّل هذا البحث في كيفية استثمار الجوانب الإنسانية في النص الديني ومكانتها التجديدية , وهي بلا شك , جوهر الفكر الإسلامي الذي يقوم على المصلحة , على اعتبار أن الشريعة الإسلامية إنما شيدت على تحصيل المصالح للعباد في العاجل والآجل , وسيتم في هذه الدراسة مناقشة هذه الفكرة وبيان محدداتها ومعالمها .

ستعالج هذه الورقة البحثية استثمار القيم الإنسانية في الفكر الإسلامي ولأجل ذلك تم تقسيمها على مقدمة وثلاثة مباحث , وانتهت بخاتمة ؛ لخصنا فيها أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها . أنفرد المبحث الأول بدراسة التأطير الإنساني في الإسلام وتناولنا فيه الآيات القرآنية والأحاديث النبوية , والتشريعات التي صاغتها الشريعة الإسلامية والتي فيها دعوة واضحة لأهمية وجود الإنسان ومنزلته والدعوة إلى ضرورة المحافظة على حياته . وأختص المبحث الثاني بدراسة آلية أظهار القيم الإنسانية في الفكر الإسلامي والتي إذ ما استثمرت على وفق الشريعة الإسلامية , فإنها ستكون المنقذ للمجتمعات الإسلامية من كل انحراف . وتولى المبحث الثالث التأكيد على بناء الشخصية الإنسانية واستثمارها في الفكر الإسلامي على اعتقانا أننا بأمس الحاجة إليها في الوقت الحاضر . وأخيراً تولت الخاتمة بيان أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها .

المبحث الأول : التأطير الإنساني في الإسلام .

لا يخفى أن تراجع العقيدة الإسلامية عن تأطير الفكر والعمل معاً كان سبباً في ظهور كثير من مظاهر الانحراف وسوء الفهم التي أقعدت المسلمين عن العمل والمبادرة , فمظاهر الإرجاء وتعطيل الأسباب والجبر وانطفاء جذوة المبادرة والفاعلية وغياب الحس والتدين السطحي , والتخاذل عن أمر الكفالة الاجتماعية والعدالة بين الناس , وظهور الاستبداد كان سببه عدم تفعيل الروح الإنسانية في جوانب كثيرة من حياة المسلمين^(٣) .

يتضح مما تقدم أن الروح الإنسانية في الفكر الإسلامي هي إحدى المسلمات الرئيسية التي من خلالها تقوم الحياة في المجتمعات الإسلامية , وهي كذلك , إحدى المسلمات الفكرية الأولى لبناء منظومة فكرية تخص الإنسان وطموحاته وآماله وأهدافه وسعادته في الحياة الدنيا , وهذه المسلمات موجودة في مصادر الشريعة الإسلامية , المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة , فضلاً عن الأطروحات الفكرية لأئمة الفقه والتشريع في الإسلام , لذلك فقد وظف النص الديني لتبيان هذه الحقيقة , قال تعالى : ((كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد))^(٤) .

وفيما يتعلق بخصائص الشريعة الإسلامية , وأهمها أصالتها وربانيتها وتوازنها وواقعيتها ويسرها وصالحها لكل زمان ومكان , وعمومها لكل الناس وشمولها الأحكام التي تراعي مصالحهم , فلا تحدث حادثة ولا تنزل نازلة إلا وللشريعة فيها بيان , قال تعالى : ((ما فرطنا في الكتاب من شيء))^(٥) . بهذا الإطار تتكون شخصية الإنسان وتبدأ برسم طريقها السوي المستقيم , من توحيد الله والشعور بوجوده وخشيته , ومن ثم تبدأ الواجبات المناطة بهذا الإنسان من التزام الحدوده التي أمر بها الله تعالى ؛ إلى محبة الناس والتفاعل معهم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٦) , فضلاً عن ذلك يتوجب على الإنسان إعداد النفس لمواجهة المغريات التي تبعده عن إنسانيته , والمؤكد أن الطرح الإسلامي يثير في حس المسلم شعوره بالأخوة الإنسانية , لا سيما فيما يتعلق بالمشاعر والمعاملات الشخصية , والعدل والقسط والبر ببني آدم جميعاً بل بالأحياء جميعاً على وجه الأرض^(٧) .

وعليه فإن الله تعالى أعطى الإنسان نصيباً من أسمائه الحسنی من أجل أن يقوم بدوره في أداء واجبه في الدنيا^(٨) , وعلى هذا الطرح فإن الإنسان هو ((الصنعة الخارقة للخالق الصانع سبحانه , وهو أرقى معجزة من معجزات قدرته وألطفها , حيث خلقه الباري مظهراً لجميع تجليات أسمائه الحسنی , وجعله مداراً لجميع نقوشه البديعة جلت عظمته , وصيره مثلاً مصغراً , ونموذجاً للكائنات بأسرها))^(٩) .

بيد أن النصوص الدينية في الفكر الإسلامي قائمة على التيسير والتخفيف ورفع الحرج والمشقة , يتضح ذلك من قوله تعالى : ((لا يكلف الله نفساً إلا وسعها , لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت))^(١٠) .

وهكذا نجد مكانة الإنسان وقيمه في الفكر الإسلامي ، والتي تشكل أهمية لا يمكن تجاهلها ، إذ أن ((مكانة الإنسان في القرآن الكريم هي أشرف مكانة في ميزان الفكر ، وفي ميزان الخليقة الذي توزن به طبائع هذا الكائن بين عامة الكائنات))^(١١) .

والدليل على الروح الإنسانية في الفكر الإسلامي هي تكرار مفردة - أحسن تقويم- في القرآن الكريم ، وبالتالي فإن الأحسن هنا تعني ، الأفضل والأرقى ، وهي في نفس الوقت تعني الأكرم ، بل فيها توضيح إلى أنّ ما خلق على وجه الأرض بمجمله لخدمة وسعادة الإنسان .

إن هذا الطوفان من المعلومات في الفكر الإسلامي بما تنطوي عليه تعاليمه من نزعة إنسانية مقرونة بالسماحة ، وحب الخير ، والتفاني في سبيل سعادة الإنسان والمتجهة نحو بناء مجتمع متكامل يعم فيه الخير ، وينعم أفرادها بالسعادة ؛ تظهر لنا أن الإنسان في المنظور الإسلامي عريق الإنسانية منذ نشأته ، وسامي رفيع بنفحة الله من روحه ، وهذه النفحة الإلهية في الإنسان جعلت روحه تهتدي دائماً إلى منشأها^(١٢) .

بناء على هذا فإن حركة الإنسان نحو الله بعبارة أخرى ، ومعنى آخر ، هي حركة أبدية ودائمة غير قابلة للتوقف^(١٣) ، وهذه الصيرورة سر تكريم الإنسان على سائر الخلائق ، يظهر من قوله تعالى وهو يخاطب الملائكة : ((فإذا سويته ونفخة فيه من روحي فقعدوا له ساجدين))^(١٤) .

وإذا كان المنطلق الأساسي للفكر الإسلامي في تقدير الإنسان والنظر إليه يختلف عن ميزان البشر في تقدير قيمة الإنسان ، لأن بعض المجتمعات تزيد فيها قيمة ووجاهة الإنسان أو تنقص ، بعامل الغنى والفقر ، أو الحسب والنسب ، أو الجنس واللون ، أما الإسلام فقد وضع ميزان آخر يقوم على العدالة والمساواة ؛ ثم وضع أفضلية بين الناس أساسها التقوى والسيرة الحسنة ، ومقدار ما يقدمه الفرد من أعمال البر والخير ، قال تعالى : ((يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير))^(١٥) .

وحيثيات اعتبار الإنسان يشكل قيمة عليا في الفكر الإسلامي ، تظهر كذلك في أحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) التي تفيض حناناً ورحمةً وحباً للإنسان كل إنسان ، أينما كان ، أو وجد ، وتتجلى فيها الروح الإنسانية^(١٦) بأجمل صورها ، قوله (صلى الله عليه وسلم) : ((الخلق كلهم عيال الله ، فأحبهم إليه أنفعهم لعيله))^(١٧) .

وأيما كان الأمر فالنزعة الإنسانية في القرآن الكريم تبدو واضحة عندما يخاطبه الله (جل شأنه) (يا أيها الإنسان) ، إذ ينادي فيه أكرم ما في كيانه : وهو إنسانيته ، التي تميز فيها على سائر خلقه ، فيرتفع بذلك إلى أكرم مكانة ، يتجلى فيها إكرام الله له ، وكرمه عليه^(١٨) .

والمعيار الموضوعي للقيم الإنسانية في الإسلام هي رفع شأن الإنسان ، وهذه القيم لم تكن وليدة اقتباسات أخذها المسلمون من الفلسفات السابقة في الشرق أو الغرب وإنما هي نزعة تعبر عن روح الإسلام الحقيقية تتجه إلى تحقيق كرامته ورفعته ، وقد أثبتتها نصوص القرآن الكريم ، ومفردات الشريعة الإسلامية ، وآراء وأطروحات أئمة المذاهب الإسلامية من المجتهدين^(١٩) . ومن هذا المنطلق يمكن القول : إن الإسلام يعد الشخصية الإنسانية لأداء دورها الذي وجدت من أجله ، وهو خلافة الأرض ؛ لأن الإنسان لم يخلق عبثاً ، بل أعد لمهمة كبيرة يحقق من خلالها عمران الأرض ، والخلافة عليها ، وبذلك تتحقق إنسانيته ، وهذا الأمر ، بطبيعة الحال يتطلب منه بذل الجهد والمعاناة والكبد واقتحام الصعاب ، كما قال تعالى : ((ولقد خلقنا الإنسان في كبد))^(٢٠) .

والإنسان في المنظور الإسلامي ، وكما نص عليه القرآن وبينته السنة النبوية ، هو السبب الذي لأجله تكونت المجتمعات ونشأت الدول ، ولذلك فإن أمة المسلمين تتجح عندما يكون الإنسان فيها حراً من كل عبودية ، إلا عبادته لله ، وتفشل هذه الأمة إذا أضطر الإنسان فيها إلى الخوف من السلطة مما يدفعه إلى التزلف والنفاق والخشية من غير الله .

وإذا تتبعنا آيات القرآن الكريم بما فيها من نزعة نحو تحقيق إنسانية الإنسان لوجدنا في مضمونها دعوة لاحترام كينونة الإنسان وتحقيق سعادته ، وليس أدل على هذا الطرح إكثار القرآن الكريم ؛ من ترديد مفردة الإنسان ، وبني آدم ، والناس ، والأنس ، والعباد ، وغيرها من العبارات التي لا تخص المسلمين وحدهم ، بل الإنسانية جمعاء^(٢١) .

وفي هذا الصدد ، وبمنهجية سليمة في التعاطي مع النص ؛ تظهر لنا مفردات في القرآن الكريم تبين الروح الإنسانية في الفكر الإسلامي ، ومنها ذكر الأنس في (١٨) آية ، وذكر العالمين في (٧٣) آية ، وكرر القرآن الكريم بني آدم في (٢٥) آية ، وجاء ذكر العباد في أكثر من (١٠٠) آية^(٢٢) . وهذا بلا أدنى شك يؤشر اهتمام الإسلام بالإنسان ، وهو كذلك يبين النزعة الإنسانية بأزهى صورها نحو الإنسان دون النظر إلى شكله أو لونه أو جنسه .

إن أيّ فكر نظريّ أو عمليّ لا بد أن ينطلق من مرجعيّات ظاهرة أو مستترة تؤطره وتنظمه ، ولأن الإسلام دين سماوي يقوم على مبدأ سعادة الإنسان علاوة على ذلك ؛ فإن الفكر الإسلامي بمضامينه يدعو الإنسان إلى أن يعمل للعالم بقدر وللآخرة بقدر ، ويقمّ علاقته مع الله على أساس الخشية والمراقبة الدائمة واليقين أن الله يراه ويحصي أعماله حتى مثقال الذرة ، فضلاً على ذلك يتوجب على الإنسان لاستكمال إنسانيته أن يتعامل مع الآخرين بما هو نافع لهم بغية كسب مرضاة الله ومحبة الآخرين^(٢٣) .

ولهذه الإنسانية صور ومظاهر شتى تغطي كافة مناحي الحياة لذا نجد في تعاليم الإسلام التأكيد على أن الإنسان سيد العالم وأشرف المخلوقات ، وأنه لا يقدر بثمن ، تسجد له الملائكة ، وتخضع له جميع الكائنات ، وسخر كل شيء في الأرض والسموات لخدمته ، قال تعالى : ((ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرةً وباطنةً ، ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير))^(٢٤) .

المبحث الثاني : آلية اظهار القيم الإنسانية في الفكر الإسلامي .

تبين فيما سبق أن القيم الإنسانية التي تدعو إلى بناء شخصية الإنسان وتطوير قدراته ذات دور كبير في تطور المجتمع ، ولها كذلك أهمية كبيرة نظراً للظروف التي تحيط بالمسلمين في العصر الراهن ، لأن عظمة الدين الإسلامي - حسب رأينا - تأتي من خلال محاكاته الجوانب الإنسانية في حياة البشرية ، وفي حساسيته المرهفة تجاه حقوق الإنسان وكرامته ، وهذه الجوانب إذ تم دراستها والتركيز في الثقافة العامة ، فإنها ستأتي بنتائج إيجابية في التربية الصحيحة ، وبذلك نكون قد وضعنا منهجاً متوازناً في بناء شخصية الإنسان ، وإظهار الروح الإنسانية في الفكر الإسلامي .

ومن الضروري في هذا المجال الإشارة إلى أن التشريعات التي نادى بها الإسلام من أجل تحقيق إنسانية الإنسان ورفع مكانته ، لم يرق إليها أي من التشريعات السماوية السابقة عليه ، بل حتى القوانين الوضعية ، قديماً ، وحديثاً ، لأن الفكر الإسلامي قد تخطاها في تأكيد القيم الإنسانية ، وفي معرفة كوامن نفسية الإنسان وخفاياها ، مصداقاً لقوله تعالى : ((ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ، ونحن أقرب إليه من حبل الوريد))^(٢٥) .

وهذا التأصيل للروح الإنسانية في الإسلام من خلال مبادئ سامية تعصم الفرد من الضلالة والتهيه ، وتحفظ المجتمع من التمزق والضلالة ، لأن الفرد جزء من الجماعة والجماعة جزء من الحياة ، والحياة جزء من الكون ، والكون مسخر للأحياء ، والكل من خلق الله تعالى ، وفق هذه المعطيات تظهر دعوة الإسلام للوسطية في الحياة سواء كانت في العبادات ، أو في مجالات الحياة المتعددة ، قال تعالى : ((وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليك شهيداً))^(٢٦) .

وأصل هذا الفكرة في الإسلام تظهر من خلال الروح الإنسانية وفيها الدعوة إلى التربية الأخلاقية للأفراد التي عدها الإسلام وسيلة إيجابية في مراعاة الحقوق ، كمرعاة حقوق الوالدين ، وحق الأرحام ، وحق الجار ، والمعلم والرفيق ، وحق الكبير في السن ، والالتزام بالأداب العامة التي يؤشر الإخلال بها سلباً في انفراط عقد المجتمع وتماسكه ، والقيم الإنسانية في الفكر الإسلامي تأخذ مكان الصدارة ، والدليل

أن الشريعة الإسلامية أكدت مقولة في صالح الإنسان مفادها ، في حالة التعارض وعدم التوافق بين المصلحة الخاصة والعامة ، فإنه يجب أن تقدم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة^(٢٧) .

وبالترايط بين الحرية الفردية والمصلحة العامة ، فإن حرية الفرد تنتهي عند الحد الذي تبدأ منه الحريات العامة ، لذلك أكد الإسلام أن الحرية الاجتماعية تقضي بعدم التمييز بين الأفراد إلا بالتقوى ، وفي الحديث النبوي الشريف ما يثبت ذلك ، قال (صلى الله عليه وسلم) : ((يا عباس عم النبي ، ويا فاطمة بنت رسول الله ، ويا صفية عمة رسول الله ، اعملوا ، فإنني لا أغني عنكم من الله شيء))^(٢٨) .

وفي باب الشاهد على ماورد من كلام ؛ نقل لنا أحد الكتاب المسلمين^(٢٩) رأياً للفيلسوف (جورج برنارد شو) قوله : ((لقد وضع دائماً دين محمد موضع الاعتبار السامي بسبب حيويته المدهشة ، فهو الدين الوحيد الذي يلوح لي أنه حائز أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة بحيث يستطيع أن يكون جذاباً ، لكل جيل من الناس))^(٣٠) .

من المفيد هنا ، التأكيد على أن الروح الإسلامية بتعاليمها السمحاء لا رهينة فيها ، أو عزوف عن الحياة الدنيا ، بل الدعوة قائمة على التمتع بكل ما أحله الله وهذا ما يؤشر القيم الإنسانية فيها ، فالقرآن الكريم يحث على التمتع بمباهج الحياة والأخذ منها في حدود لا تجعل الإنسان يخرج من آدميته ، قال تعالى : ((قل من حرم زينة الله التي أخرجها لعباده والطيبات من الرزق))^(٣١) ، مقابل ذلك لا يجوز أن يُحرمَ الناس شيئاً أحله الله لهم ، أو يتنازعو عنه طوعاً ، قال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا ما أحل الله لكم))^(٣٢) .

والمنظومة الأصولية التي قام عليها الإسلام والغايات التي لأجلها دخل في صراعات هي تحقيق إنسانية الإنسان ، ورفض استعباده واستنزاف قواه^(٣٣) ، وفي الحقيقة أن إغفال هذه الخاصية في الدين الإسلامي الحنيف تجعل منه تشريعاً متزمتاً متحجراً لا يحاكي روح الإنسان .

ولأن التقوى في الإسلام وكما هي واضحة في الفكر الإسلامي ، كان لها الأثر في صنع قيم جديدة تختلف عن تقاليد الجاهلية ألا وهي التقوى التي يُفَضَّلُ الناس بعضهم على بعض : وأول علامات التقوى هي الإيمان بالله تعالى ، وهي أيضاً درجات عليا من حب الخير والتفاني في سبيل الآخرين ، وهي كذلك غاية قصوى لرفع مستوى المجتمع وتلبية حاجات أبنائه من الجوانب النفسية والروحية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية ، والتقوى هي أيضاً الرادع النفسي الذي يدفع الإنسان إلى الخير ويمنعه من الشر بكل معانيه وأشكاله .

لا بد ، إذن ، من استشراق التقوى من القرآن الكريم من خلال قوله تعالى : ((ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين ، وآتى

المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وأبن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة , والموفون بعهدهم إذا عاهدوا , والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس , أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون))^(٣٤) .

كما أن التقوى في الإسلام ليست مجرد طقوس لا روح فيها ولا خير ولا مساعدة للآخرين , وهي تبين أيضاً أن الإسلام ليس مجرد حركات عبادية , وإنما هذه العبادات المظهر للتقوى , والمظهر قد يصدق , وقد لا يكون كذلك , أما التقوى الحقيقية ؛ فإنها تتجسد في الايمان بالله تعالى وحب الخير وما يقرب إليه , والابتعاد عن الشر وما يقرب إليه .

وحيثيات القيم الإنسانية في الفكر الإسلامي كثيرة ؛ لأن خصائص الشريعة الإسلامية الواقعية ؛ لم تغفل عن وضع أنظمة وقوانين تكفل بناء شخصية الفرد والأسرة والمجتمع وهي تصلح منهجاً كي نستجيب من خلالها لمتطلبات العصر , لذلك نجد منطلقات الفكر الإسلامي تدعو إلى الجد والاجتهاد والعمل , لأن العمل يحفظ كرامة الإنسان وبذلك تتحقق إنسانيته , وهذا ما يتضح من مدح للعاملين وذم لأولئك الذين لا يعملون , حتى لو كان ذلك انقطاع من أجل العبادة , لأن التوكل على الله هو في الأخذ بالأسباب ؛ وأن الرزق مقرون بالسعي الدائب , كما هو واضح في قوله تعالى : ((وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون , وستردون إلى عالم الغيب والشهادة , فينبئكم بما كنتم تعملون))^(٣٥) .

وحتى يستقيم البناء نجد الدعوة لتنمية الأموال والاهتمام بزيادتها من أجل تطوير الإنسان وحفظ كرامته , وتنمية المجتمع وتطوره , لذا فإن الإسلام لا يحتقر المادة كما يظن البعض , ولا يدعو إلى رهبانية وعزوف عن الجوانب المادية في الحياة , لأن الإنتاج المادي من مقومات خلافته على الأرض , وليست المادة في هي الغاية العليا التي لأجلها خلق الإنسان , والتي في سبيلها تهدر كرامة الإنسان ومقوماته , وحرية^(٣٦) , كما هو حاصل في الفلسفات الوضعية , بل المادة وسيلة للعيش وحفظ حياة الإنسان والابتعاد عن ذل السؤال .

ولأجل تجلية هذا المعنى فالدعوة قائمة يجب أن يستخدم المال في بناء المجتمع ويكون وسيلة للخير والصالح مرغوب به في الشريعة الإسلامية , بل هناك دعوات للحصول على المال وتتميته بالطرق الشرعية , وأن من يسعى إليه يحمد مسعاه , من هنا نجد الفكر الإسلامي فيها دعوة على العمل وطلب الرزق والضرب في الأرض^(٣٧) , قال تعالى : ((فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله))^(٣٨) .

ومن هنا تحتمت ضرورة الأهتمام بالمال بدون جشع أو طمع يتجاوز الحدود , لأن المال وسيلة للخير وجب على الناس السعي في تحصيله , لأن الفقر مرض يصيب المجتمعات , وهو ليس قدرأ من

السماء , لذلك جاء التعبير في الحديث النبوي عن الفقر بأحسن ما يمكن أن يدل على نفرة الشريعة الإسلامية منه , وهو قوله (صلى الله عليه وسلم) : ((كاد الفقر أن يكون كفراً))^(٣٩) . هكذا اتسعت الرؤية الإنسانية في الإسلامي حين نظرت إلى الفقر المحوج ذلاً وهواناً للإنسان , واعتبرته قرين الكفر في البشاعة وسوء الأثر .

وتقرير هذه المسألة يحث على ضرورة التعاون بين أفراد المجتمع , وتتضح آليات استثمار القيم الإنسانية في الصورة التي رسمها القرآن الكريم للمجتمع الصالح المتعاون المتكافل , الذي يجمع الأغنياء والفقراء على المحبة والأخوة والانسجام , فيكون هدف الجميع مرضاة الله تعالى , ومن ثم التعاون على البر والتقوى , يتجلى ذلك في الآية الكريمة : ((للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً , وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون))^(٤٠) .

وعلى أيّة حال , فإن تعاليم الإسلام لها غاية وهدف , لذلك نجد النزعة الإنسانية فيه تدعو إلى أن يكون للفقراء نصيب في أموال الأغنياء , كي لا يكون في المجتمع الإسلامي فوارق طبقية حادة تمنع بناء وتطور حياة الإنسان , ولأجل أن لا تسحق كرامة الفقراء وتهدر نتيجة الحاجة والعوز , لذا نجد في الفكر الإسلامي دعوة إلى رفع شأن الفقراء من خلال النفقة عليهم بالسبل التي حددتها الشريعة الإسلامية , قال تعالى : ((والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم))^(٤١) .

إن الأعتبارات الحقيقية لرقى وتطور المجتمع , أي مجتمع في معرفة الله (جر شانه) وتحقيق الروح الإنسانية المتضمنة كرامة الإنسان وسعادته , وهذا يتحقق بتحرير العقل الإنساني من الخرافات والأوهام وذلك عن طريق العقيدة والإيمان بالله تعالى , وفق هذه التوصيفات يمكن أن نطلق عليه مجتمعاً متحضراً^(٤٢) , والعكس من ذلك , إذا كانت جل اهتمامات أبناء المجتمع هي الجوانب المادية , دون النظر إلى القيم الروحية , فإن المجتمع يتحول إلى مجتمع جاهلي تطغى عليه الغرائز الحيوانية , ويصبح الإنسان فيه عبداً للمادة , وعند ذاك يفقد الإنسان إنسانيته , أو قد يتحول إلى آلة صماء لا روح فيها .

المبحث الثالث : بناء الشخصية الإنسانية واستثمارها في الفكر الإسلامي .

في تقديرنا أن استثمار القيم الإنسانية في الفكر الإسلامي يمكن أن يدفع عجلة الحياة إلى الأمام وصولاً بالمجتمع إلى الرفعة والسعادة , والمنتبج لنصوص الشريعة الإسلامية يدرك بسهولة أنها تحث وتدعو إلى استثمار هذه القيم , ويكفي تدليلاً على ذلك أن الله (ﷻ) جعل أعظم المحرمات بعد الشرك قتل الإنسان من دون حق , حتى قرن ذلك بالشرك , وجعل جزاء القاتل نار جهنم خالداً فيها , قال تعالى : ((والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرمها الله إلا بالحق , ولا يزنون , ومن يفعل ذلك يلقى آثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً))^(٤٣) .

ومما يؤكد الروح الإنسانية في الفكر الإسلامي أن نصوص الشريعة تركت لليهود والنصارى حرية المعتد , ولم يجبرهم على اعتناق الإسلام بالإكراه , قال تعالى : ((وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أسلمتم , فإن أسلموا فقد اهتدوا , وإن تولوا فإن عليكم البلاغ))^(٤٤) .

ولأهمية القيم الإنسانية فقد حفظ الإسلام حرية أهل الذمة , ودعا إلى حسن معاملتهم , وليس ادل من ذلك أن القرآن الكريم يحث على إتباع الحسنى في التعامل مع أهل الكتاب , تماشياً مع النزعة الإنسانية في هذا الدين الحنيف , فضلاً عن ذلك فالتحذير من الإساءة في التعامل سواء بالقول أو الفعل , قال تعالى : ((ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن , إلا الذين ظلموا منهم , وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد , ونحن له مسلمون))^(٤٥) .

لقد دبَّ في ديار المسلمين الفكر المتطرف ! وهو داءٌ عضال كان أشدَّ خطورة على الدين من اعدائه فنلحظ الفرق المتطرفة تدعو إلى قتال غير المسلمين من أهل الكتاب حتى المسالمين منهم , مع العلم أن الإسلام لم يدعُ إلى قتالهم , بل دعا إلى برهم والإحسان إليهم ؛ إلا أولئك الذين يبدون العداوة والبغضاء للمسلمين , ولكن من دون اعتداء أو ظلم , كما هو واضح في الآية القرآنية الكريمة , قال تعالى : ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين أو يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم , إن الله يحب المقسطين , إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم , وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون))^(٤٦) .

لقد بعث النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) رحمةً وهدايةً للعالمين , وبمبعثه تمت النعم واكتمل الدين , وكانت الأخلاق روح هذا الدين وجوهه ; بها مدح النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) , قال تعالى : (وإنك لعلى خُلِقَ عظيم) . إن أي منهج لدراسة الفكر الإسلامي يجب أن ينطلق من مسلمة واضحة لا لبس فيها , أن الإسلام دين الأخلاق السامية , وكذلك جاءت نصوصه من أجل سعادة الإنسان وبناء حياته على أسس من التقوى والعمل لأعمار الأرض .

إنها مسائل خطيرة , ولذلك يجب أن تعقد الصلة بين روح الإسلام التي تُؤثر الروح الإنسانية الظاهرة في تشريعاته واستثمارها لبناء الشخصية الواعية ذات الملامح الإنسانية , وهذا هو روح الإسلام ودعوته الخالصة البعيدة عن التطرف والغلو الذي يفضي أن يوصف الإسلام بالإرهاب والعدوان , ونحن إذ أظهرنا الجوانب الإنسانية في الفكر الإسلامي ستكون بصورة أو أخرى استجابة لمتطلبات العصر الذي يمر به المسلمين في الوقت الحاضر وفك قيد الفرد من الأزمات التي يعاني منها إنسان هذه المجتمعات , وفي الوقت نفسه يمكن أن نستثمرها في الرد على المقولات التي يطلقها أعداء الإسلام الذين يحاولون النيل من هذا الدين ذو النزعة الإنسانية , محاولين بذلك زرع الكراهية تجاه الإسلام في نفوس بعض المسلمين وغير المسلمين .

وينطوي هذا الاتجاه على استثمار الروح الإنسانية في الفكر الإسلامي بروح من الأصالة والمعاصرة والتي يجب أن تكون مستنبطة من القرآن الكريم والسنة النبوية ، وسيرة السلف الصالح ، بعيد عن النظرة الأحادية واللجوء إلى مواقف فكرية ، أو سياسية مضى عليها مئات السنين ، تقوم على كيل الاتهامات والكفر والإلحاد والزندقة والهرطقة لهؤلاء وأولئك^(٤٧) ، هذه المواقف ستأتي بالسلب على الإسلام لذلك يتوجب أن نستثمر الروح الإنسانية في الفكر الإسلامي على الوجه الصحيح ، بالتأكيد على تعاليم الإسلام في مجال حقوق الإنسان ، وبروح من التواصل والمحبة وحب الخير والوسطية والاعتدال ، والإيمان بأن التواصل مع الآخر في الإسلام ، هو أمر إيجابي ، مع الابتعاد عن الدعوات والشعارات التي تفضي إلى الفرقة والعداء والتنافر .

يوجد في شرعنا الحنيف آليّة النقاء والصفاء الإنساني ، فالإسلام ليس دين طقوس وشعائر وعبادات فقط ، لكنه دين فكر وحضارة ، ودعوة إلى تحقيق إنسانية الإنسان ، وتاريخه يشهد على ذلك فهذا الدين بسماحته ومرونة تعاليمه يرحب بالرأي الآخر، وحق المعارضة وحرية التعبير في كل ما يخص حياة المسلمين ليتمكنوا من الوصول إلى حل المعضلات الفقهية والشرعية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وما علم الكلام وظهور الفرق والاختلاف في المذاهب والمناظرات الفكرية والمجادلات العلمية إلا دليل على ذلك^(٤٨) .

والإسلام في استيعابه للقيم الإنسانية يسمح لأفراده جميعاً أن ينتقدوا الأخطاء التي تظهر في المجتمع ولهم الحق أن يقوموها دون تردد أو خوف ، وبدون تمييز ، على أساس لون أو عرق أو وجهة ، ، لأنه لا يوجد في الإسلام إنسان كامل ، فالكمال لله وحده ، وفي المنظور الإسلامي لا يجوز تأليه الحاكم ، بل نجد الدعوة صريحة إلى الاحتجاج على الخطأ ، والثورة على الظلم والطغيان من أين كان مصدره ، ومن ثم تصحيح المسار لمن رأى اعوجاجاً سواء باليد أو اللسان أو في القلب وهذا اضعف الأيمان ، فالإسلام لا يرضى لأفراده حياة الخنوع والذل والهوان والعبودية^(٤٩) ، وهذه أعلى درجات الدعوة إلى حفظ كرامة الإنسان وصون إنسانيته ، وما دعوت القرآن الكريم إلى هجرت الأوطان وتحمل الأذى في سبيل نيل الحرية وممارسة كل فرص متاحة للتغير نحو الأحسن والأفضل إلا دليل على ما ذهبنا إليه ، قال تعالى : ((يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون))^(٥٠) .

إن الظلم والطغيان والاستبداد مفردات لا وجود لها في الشريعة الإسلامية ؛ فنصوص الشريعة بقيمها الإنسانية فيها دعوة للخروج والثورة على الحاكم الظالم ؛ لأن الحكم في أمة الإسلام ليس مؤسسة (ثيوقراطية – كهنوتية) تستمد شرعيتها بنظرية الحكم الإلهي ، بل هي قائمة على مبدأ تحقيق إنسانية وكرامة الفرد ، والحاكم فيها ليس مطلق السيادة ، بل هو محدد بصلاحيات إذا تجاوزها أجازت الشريعة الثورة عليه وخلعه ومحاسبته .

إن سيادة الاستبداد تعرقل دائماً كل محاولات الإصلاح ، والشريعة الإسلامية تهدف إلى تحقيق العدالة بين الناس واستثمارها لبناء شخصيته الإنسانية وصون كرامته وتطوير قدراته ، فليس هناك حرام على أعجمي ، حلال على عربي ، وليس هناك شيء محظور على الأسود مباح للأبيض ، قال تعالى : ((ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين))^(٥١) .

ومن ناحية أخرى ، فإن حقوق الإنسان في الفكر الإسلامي ظاهرة وفي أماكن متفرقة ، منها أن حرية الرأي للأفراد مكفول ، ولكن ضمن الحدود التي أجازها الشرع ، فإذا أساء الفرد استعمال هذا الحق ، فإن للحاكم التدخل لردعه وإيقافه عند حدوده ، لذلك نجد في الشريعة الإسلامية إمكانية (الحجر) على مال السفهيه ، ومن فقد صوابه ، كالذي يبدد أمواله ولا يحسن إدارتها ، قال تعالى : ((ولا توثقوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً))^(٥٢) .

إن الحرية الفردية في الإسلام هدفها بناء شخصية الإنسان وتطوير المجتمع ؛ لأن التعاليم الإسلامية تنتشد سعادة الإنسان ، ولذلك فهو حر الإرادة وله حق الاختيار ويتحمل تبعات أقواله وأفعاله ، فضلاً عن ذلك فإن الإسلام ترك للإنسان حرية اختيار المعتقد ولم يرغمه على اختيار دين معين ، وعلى ذلك تتحقق عدالة الله سبحانه وتعالى بالجزاء ، ثواباً أو عقاباً ، تبعاً لما يتبعه الإنسان من دين ، قال تعالى : ((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها ، والله سميع عليم))^(٥٣) .

وفي الحقيقة أن استثمار الروح الإنسانية في الفكر الإسلامي هدفها تطوير قدرات الإنسان ، لأن الإسلام قد أعطى للإنسان الحرية ودافع عن كرامته ، بل عد الكرامة هي الأساس لفكرة الحرية والإخاء والمساواة ، التي حسب الفرنسيون أنهم أول من أعلنها أبان ثورة (١٧٨٩م) ، فالإسلام دافع عن حرية الإنسان وشرع للقضاء على العبودية منذ أربعة عشر قرناً ، ووضع الأسس العامة لتحرير الرقيق ، وعتق العبيد ، وبشئى الطرق والأساليب ، وعد استرقاق الإنسان ، أي إنسان ، خصومة موجهة إلى الله تعالى^(٥٤) ، وفي الشرع الإسلامي دعوات للقضاء على العبودية بصورة تدريجية ، ومن ثم اقتلاع جذورها من أساسها ، وذلك عندما عد تحرير الرقاب كفارة عن الأخطاء التي يرتكبها المسلم ، قال تعالى : ((ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ، ودية مسلمة إلى أهله))^(٥٥) .

والروح الإنسانية في الفكر الإسلامي لها أوجه متعددة ، منها الحث على تحرير العبيد وعتق الرقاب ، وفي المنظور الإسلامي تعد العبودية من المشكلات التي تواجه المصلحين ، لذلك وجب تذليلها ، قال تعالى : ((فلا أفتحم العقبة ، وما أدراك ما العقبة ، فك رقبة أو إطعام في يوم ذا مسغبة ، يتيماً ذا مقربة))^(٥٦) .

ومن عدالة الإسلام المفضية إلى بناء شخصية الإنسان أن يتساوى الحاكم والمحكوم أمام مقررات الشريعة الإسلامية , وفي السنة النبوية ما يؤكد هذا الطرح , يتضح ذلك من خطبة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في الناس قائلاً : ((يا أيها الناس إنما ضل من قبلكم , أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه , وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد , وأيم الله لو أن فاطمة بنت رسول الله سرقت لقطع محمد يدها))^(٥٧) .

من الجوانب التي يجب تأكيدها لأنها وحسب رأينا ذات أهمية بالغة يجهلها معظم الناس , هي : إن الإسلام ليس ديناً للعبادات فقط , بل دين عمل وكسب وأعمار الأرض , وقد أثنى الإسلام على العمل وتحصيل الرزق من الجهد والكد والكسب الحلال , وحرّم ذل السؤال وطلب المعونة من الغير^(٥٨) , وفي المنظور الإسلامي أن أفضل العبادات العمل , وأن العمل من سنن الأنبياء , وأن أفضل الكسب ما كان من عمل اليد^(٥٩) .

واستثمار الروح الإنسانية في الفكر الإسلامي تعصم الفرد من الضلالة والتيه , وتحميه من التمزق والضياع , لأن الفرد جزء من الجماعة , والجماعة جزء من الحياة , والحياة جزء من الكون , والكون مسخر للأحياء , والكل خلق الله وفي طاعته .

هنا يبرز سؤال يبحث عن اجابة ؟. إذا كان الإسلام يحوي في تعاليمه كل هذه الجوانب الإنسانية والقيم الأخلاقية , وبكل هذه الدقة والشمول , لماذا انحدرت المجتمعات الإسلامية وتدهورت أحوالها وأصبح دور الإنسان فيها هامشياً ؟ , بل أنها أحجمت عن مواجهة الكثير من المشكلات التي تواجه الإنسان المسلم في الوقت الحاضر , فضلاً عن سيادة الفقر والجهل وضياع الكثير من حقوق الإنسان في المجتمع الإسلامي مما أدى إلى ظهور بعض الفرق التي تتسم أطروحاتها بالتطرف والغلو والعنف والاجرام , بل وجدنا في السنين الأخيرة دعوات وأفعال للتكفير والقتل الشنيع , بدعوى الانتصار للدين , وأصبحت هذه الأمة تقتبس مفردات الإنسانية وحقوق الإنسان من الغرب , بل هي عاجزة عن الإبداع ومقلدة للغرب في الكثير من تفاصيل حياتها .

نحن على يقين أن الخلل لم يكن يوماً في الشريعة , وإنما في تطبيقات الأفراد , فالشريعة الإسلامية لم تكن قاصرة في مسايرة الزمان ومواجهة المشكلات المعاصرة , ((ولكن حدث ذلك لأن علمائنا لم يستتبوا النظريات الكلية في الفقه الإسلامي المعاصر , بمواجهة النظريات الكلية في القوانين الأوروبية لعقم دراسة الفقه بالابتعاد عن الأصول والاشتغال بجزئيات الفقه في العصور الأخيرة مفصولة عن مقاصدها العامة , والتأكيد على القضايا العبادية في شروح وحواشي كتبت في لغة العصور الأخيرة , فيها الكثير من الركاسة والجمود والانغلاق))^(٦٠) .

الخاتمة :

وفيها أهم النتائج التي توصلنا إليها باختصار ، وهي الآتي :

أولاً:- مما يؤكد على ضرورة استثمار واستحضار القيم الإنسانية في الفكر الإسلامي وعدم إغفالها في دراسة وتدریس العلوم الشرعية والإنسانية ، فضلاً عن نشرها في وسائل الإعلام ومواقع الاتصال الاجتماعي ، ففيها الرد المناسب للطاعنين على الفكر الإسلامي ومحاولتهم لصق الإرهاب والتطرف والعنف على الدين الحنيف ، مع كثرة التدليس والتلبیس عليه ومحاوله انتزاع الجوانب الإنسانية منه ، مما يحتم على المفكرين والدعاة والباحثين والأكاديميين أظهار واستثمار الروح الإنسانية ، وليس الاقتصار على الجوانب الفقهية والعقدية .

ثانياً:- إن استثمار الحرية الإنسانية وحقوق الإنسان بالمعنى الفردي والجماعي في الفكر الإسلامي من أهم الاعتبارات التي يجب الأخذ بها ، لا سيما في الوقت الحاضر ، لأن الإسلام يرى في الحرية الشيء الذي يحقق معنى الحياة ، لأن الحرية بمعناها الشامل فيها حياة الإنسان الحقيقية ، وبفقدها تهدر كرامته وإنسانيته ، حتى لو عاش يأكل ويشرب ، كما هو حال الدواب والأنعام .

ثالثاً:- إن آليات الشريعة الإسلامية تبيح للأفراد حق التعبير عن الرأي وانتقاد الأخطاء التي تظهر في المجتمع خلال التطبيقات دون خوف أو تردد ، مما تتيح المجال لبناء شخصية الإنسان وتحقيق سعادته وهذه من أرقى القيم الإنسانية لأنها تعبر عن إنسانيته ، وعلى وفق هذه الطرح يكون الحاكم في المنظور الإسلامي فرد من المجتمع ، عليه واجبات وله حقوق يشترك بها مع بقية أفراد المجتمع ، وأن طاعة الرعية مشروط ؛ بأن تكون أوامره ونواهيته في حدود طاعة الله ، وهي رهن بتعاليم الشريعة وتحقيق أهداف ومصالح أبناء المجتمع .

رابعاً:- يجب الانطلاق في معالجة المشكلات التي تواجه المسلمين واستنباطها من مبادئ وقيم الشريعة الإسلامية الجوهرية كي يبنى المجتمع عليها ، وأولها نزعة الإسلام الإنسانية على أن تكون هذه المعالجات بروح من التفاعل والانسجام والمرونة ، بعيداً عن التعصب والتطرف ، بل تكون بنظرة ملؤها التفاعل والإيمان بالله وحب الخير ، لأن الإسلام أمر أتباعه بحسن المعاملة ، فيما بينهم وبين الآخر المخالف لهم في إطار الشريعة الإسلامية السمحاء ، لأن الاستجابة لتحديات العصر تأتي من خلال التأكيد على خصوصيات الإسلام وقداسته نصه ، مع الأخذ بالاعتبار أن روح الإسلام الحقيقية متجددة ، وما نحتاجه هو استنطاق هذه الروح من أجل قراءة النصوص بما ينفع الإنسان ، ويدفع عجلة الحياة إلى

الأمم ، نحو رؤية فكرية متقدمة ومتطورة وفعالة ، تجمع بين إشكالات الخصوصية الثقافية الإسلامية والمشارك الإنساني .

خامساً:- إن القيم الإنسانية في الفكر الإسلامي وما تضمنه من تعاليم وتشريعات تهدف إلى بناء شخصية الإنسان ، هذه القيم جديرة بالاهتمام والدراسة بغية مواجهة متطلبات العصر ، ولنزرع هذه القيم في نفوس الجيل الناشئ في المدارس والمعاهد والجامعات ، كي يتضح أكثر وأكثر للجميع أن الإسلام دين الإنسانية ، والعدل ، والمحبة ، والوسطية ، والنظرة الإنسانية المتفائلة التي تتجه صوب الإنسان ، أي إنسان ، دون النظر إلى عرقه ، أو جنسه ، أو لونه .

سادساً:- لا شك أن العناية بذات الإنسان وتنمية قدراته تشكل معلماً بارزاً في حياة المجتمعات الإسلامية ، لاسيما في الوقت الحاضر إذا ما أردنا أن نصح المسار ونعوض ما فاتنا ، ونعطي درسا ؛ ونعلم غيرنا ، لأن الإنسان كان ولا يزال هو محور هذا الكون ، فبجهدته تتقدم الحياة ، وبأخلاقه يتطور المجتمع . إن الباحثان وهما يدركان ضخامة المهمة الملقة على الفقيه والمشرع والمفكر والمتقف والأكاديمي وذلك باستثمار الجوانب الإنسانية في الإسلام من أجل بناء المجتمع الذي يسوده العدل والمساواة والأخوة ؛ والنتيجة المنطقية تحقيق الكرامة والسعادة للإنسان ليس في المجتمع الإسلامي إنما للبشرية جمعاء .

- ١- سورة المائدة , آية : ٦ .
- ٢- سورة الإسراء , آية : ٧٠ .
- ٣- مريم بنت سعيد بن حمد العزريّة : تفعيل مقاصد التجديد الفقهي , بحث منشور في كتاب العلوم الشرعية تحديات الواقع وآفاق المستقبل , اصدار كلية العلوم الشرعية , سلطنة عمان / ٢٠١٨م , مج ١ , ص ٥٢٠ .
- ٤- سورة إبراهيم , الآية : ١ .
- ٥- سورة الأنعام , الآية : ٣٨ .
- ٦- سيد قطب : في ظلال القرآن , دار إحياء التراث العربي , ط ٥ , (بيروت/١٩٦٧م) , ص ٤٨٧ .
- ٧- سيد قطب : مقومات التصور الإسلامي , ص ٣٦٩ .
- ٨- محسن عبد الحميد : حق المعارضة السياسية في المجتمع الإسلامي , دار إحسان , ط ١ , (د.ب/١٩٩٢م) , ص ١٠ .
- ٩- سعيد النورسي : الكلمات , ترجمة : إحسان قاسم أالصالح , دار آسيا للترجمة , (اسطنبول/١٩٩٣م) , ص ٣٤٩ .
- ١٠- سورة البقرة , الآية : ٢٨٦ .
- ١١- عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن الكريم , دار الهلال , (مصر/د.ت) , ص ١٩ .
- ١٢- محمد قطب : معركة التقاليد , دار إحياء التراث العربي , (بيروت/١٩٨٣م) , ص ١٣٢ .
- ١٣- علي شريعتي : الإنسان والإسلام , ترجمة : عباس الترجمان , مراجعة : حسين علي شعيب , دار الأمير , ط ١ , (بيروت/٢٠٠٦م) , ص ١٥٢ .
- ١٤- سورة الحجر , آية : ٢٩ .
- ١٥- سورة الحجرات , آية : ١٣ .
- ١٦- ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية , ١٨٣ .
- ١٧- الطبراني , سليمان بن أحمد بن أيوب بن القاسم : المعجم الكبير , تحقيق : حمدي بن عبد المجيد السلفي , مكتبة الزهراء , ط ٢ , (الموصل/١٩٨٣م) , ج ١ , ص ١٨٦ .
- ١٨- سعيد عبد خضر يوسف الجوعاني : الشخصية الإنسانية في القرآن الكريم , سلسلة الدراسات الإسلامية المعاصرة , ط ١ , (بغداد/٢٠٠٩م) , ص ١٧ .
- ١٩- ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية , دار الثقافة , ط ٣ , (بيروت/١٩٧٥م) , ص ١٨١ .
- ٢٠- سورة البلد , آية : ٤ .
- ٢١- ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية , ص ١٨١ .
- ٢٢- أصالة الحضارة العربية , ص ١٨٢ .
- ٢٣- الغزالي , أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد : آداب الصحبة والمعايشة , تحقيق : محمد سعود المعيني , مطبعة العاني , (بغداد/١٩٨٤م) , ص ٤ .
- ٢٤- سورة لقمان , آية : ٢٠ .
- ٢٥- سورة ق , آية : ١٦ .
- ٢٦- سورة البقرة , آية : ١٤٣ .
- ٢٧- حسام حميدة : في رحاب الإسلام , دار التوزيع والنشر الإسلامية , ط ١ , (القاهرة/٢٠٠٤م) , ج ١ , ص ٢٦١ .
- ٢٨- البخاري : صحيح البخاري , ج ٦ , ص ١١١ .

- ٢٩- طارق عبد الحميد : الإسلام , مطبعة المعارف , (بغداد/١٩٦٠م) , ص ٦٠ .
- ٣٠- نقلاً عن طارق عبد الحميد : الإسلام , ص ٤ .
- ٣١- سورة الأعراف , آية : ٣٢ .
- ٣٢- سورة المائدة , آية : ٨٧ .
- ٣٣- مصطفى إبراهيم الزلمي : فلسفة الشريعة الإسلامية , دار الرسالة للطباعة , (بغداد/١٩٧٩م) , ص ٢٠٦ .
- ٣٤- سورة البقرة , آية : ١٧٧ .
- ٣٥- سورة التوبة , آية : ١٠٥ .
- ٣٦- سيد قطب : معالم في الطريق , دار الشروق , ط ١٣ , (د.ب/٢٠٠٢م) , ص ١٢١ .
- ٣٧- عز الدين بليق : موازين القرآن الكريم , دار الفتح للطباعة والنشر , ط ١ , (بيروت/١٩٨٢م) , ص ٢٢٨ .
- ٣٨- سورة الجمعة , آية : ١٠ .
- ٣٩- السيوطي , عبد الرحمن بن كمال جلال الدين : الدر المنثور , دار الفكر , (بيروت/١٩٩٣م) , ج ٨ , ص ٦٩٢ .
- ٤٠- سورة الحشر , آية : ٨ .
- ٤١- سورة المعارج , آية ٢٤- ٢٥ .
- ٤٢- سيد قطب : معالم في الطريق , ص ١٢١ .
- ٤٣- سورة الفرقان , آية ٦٨- ٦٩ .
- ٤٤- سورة آل عمران , آية : ٢٠ .
- ٤٥- سورة العنكبوت , آية : ٤٦ .
- ٤٦- سورة الممتحنة , آية ٨ - ٩ .
- ٤٧- محمد شحرور : الكتاب والقرآن , شركة المطبوعات للتوزيع والنشر , ط ٩ , (بيروت/٢٠٠٩م) , ص ٣١ .
- ٤٨- ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية , ص ٢٦٤ .
- ٤٩- ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية , ص ٢٦٤ .
- ٥٠- سورة العنكبوت , آية : ٥٦ .
- ٥١- سورة الروم , آية : ٢٢ .
- ٥٢- سورة النساء , آية : ٥ .
- ٥٣- سورة البقرة , آية : ٢٥٦ .
- ٥٤- ناجي معروف : أصالة الحضارة العربية , ص ٢٧٧ .
- ٥٥- سورة النساء , آية : ٩٢ .
- ٥٦- سورة البلد , آية ١١- ١٢ .
- ٥٧- البخاري : صحيح البخاري , ج ٤ , ص ١٧٥ .
- ٥٨- عز الدين بليق : موازين القرآن الكريم , ص ٢٧٧ .
- ٥٩- عز الدين بليق : موازين القرآن الكريم , ص ٢٢ .
- ٦٠- محسن عبد الحميد : قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر , ط ١ , (بغداد/٢٠٠١م) , ص ٨ .

References

First: the sources.

Al-Bukhari, Muhammad bin Ismail Abu Abdullah.

1- Sahih Al-Bukhari, edited by: Mustafa Deeb Albna, Dar IbnKatheer, 3rd Edition, (Beirut / 1980 AD).

- Al-Suhaili

2- Al-Rawd al-Anf in Explaining the Biography of IbnHisham, House of Revival of the Arab Heritage, 1st Edition, (Beirut / 2000 AD).

- Al-Suyuti, Abdul Rahman bin Kamal Jalaluddin.

3- Durr Al-Manthoor, Dar Al-Fikr, (Beirut / 1993 AD).

- Al-Tabarani, Suleiman bin Ahmed bin Ayoub bin al-Qasim.

4- The Great Lexicon, edited by: Hamdi bin Abdul Majeed Al-Salafi, Zahra Library, 2nd Edition (Mosul / 1983 AD).

- Al-Ghazali, Abu Hamid Muhammad bin Muhammad bin Ahmed.

5- The Etiquette of Companionship and Companionship, edited by: Muhammad Saud Al-Maeni, Al-Ani Press, (Baghdad / 1984 AD).

Second: References.

HossamHamida

1- In the Rehab of Islam, The Islamic Distribution and Publishing House, 1st Edition, (Cairo / 2004 AD).

SaeedAbdKhaderYousef Al-Joaani

2 - The human personality in the Holy Quran, Contemporary Islamic Studies Series, 1st Edition, (Baghdad / 2009 AD).

Said Nursi

3- Words, translated by: IhssanQasim Al-Salhi, Asia House for Translation, (Istanbul / 1993 AD).

Qutb

4- In the Shadows of the Qur'an, House of Revival of the Arab Heritage, 5th Edition, (Beirut / 1967 AD).

5- Landmarks on the road, Dar Al Shorouk, 13th floor (dB / 2002 AD).

Abbas Mahmoud Al-Akkad.

6- The human being in the Noble Qur'an, Dar Al-Hilal, (Egypt / dt).

- EzzedineBlaik.

7 - The scales of the Noble Qur'an, Dar Al-Fath for Printing and Publishing, 1st Edition, (Beirut / 1982 AD).

-Ali Shariati.

8- Al-Man and Islam, translated by Abbas Al-Turjuman, Revision by Hussein Ali Shuaib, Dar Al-Amir, 1st Edition, (Beirut / 2006 AD).

Tariq Abdel Hamid

9-Islam, Al-Maarif Press, (Baghdad / 1960 AD).

Mohsen Abdel-Hamid.

10- Issues in Contemporary Islamic Thought, 1st Edition, (Baghdad / 2001 AD).

11 - The right of political opposition in the Islamic community, Dar Ihsan, 1st Edition, (dB / 1992 AD).

- Muhammad Shahrour.

12- The Book and the Qur'an, The Prints Company for Distribution and Publishing, ed 9, (Beirut / 2009 AD).

- Muhammad Qutb .

13 - The Battle of Traditions, House of Revival of Arab Heritage, (Beirut / 1983 AD).

Mustafa Ibrahim Al-Zalami

14 - The Philosophy of Islamic Law, Dar Al Resalah for Printing, (Baghdad / 1979 AD).

- Nagy Maarouf.

15 - The Originality of Arab Civilization, House of Culture, 3rd Edition, (Beirut / 1975 AD).